مدرسة الإسكندرية

رسائل القديس آمون (٢)

ترجمة الدكتور جرجس بشرى

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الخامس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٥

رسائل القديس آمون (٢)

ترجمة د. جرجس بشرى

رسائل القديس آمون (٢)

ترجمة الدكتور جرجس بشرى

الرسالة الخامسة

كتبها القديس عن أنه من الصعب معرفة مشيئة الله،
وأنه إذا لم يقلع الإنسان عن كل أهوائه وما لم يمتثل لآبائه
الروحيين ، فلن يستطيع أن يعرف مشيئة الله أو أن ينمو فيها.

أنتم تعلمون يا إخوتي أنه كلما تتغير حياة الإنسان ويدخل في حياة أخرى ترضي الله وتكون أفضل من الحياة الأولى، فإن اسمه أيضًا يتغير، لأن آباءنا القديسين الذين ارتقت ونمت حياتهم الروحية قد تغيرت ألقابهم وأخذوا أسماء جديد مكتوبة في لوح السماء. ذلك أن سارَّة عندما ارتقت في حياتها الروحية قيل لها: لن يُدعى اسمك ساراي بل سارة[١]، وقيل لإبرام، سيكون اسمك إبراهيم. وقيل لإيساك، سيكون اسمك إسحق. وليعقوب، سيكون اسمك إسرائيل. وبدلاً من شاول، سيكون الاسم بولس، وبدلاً من سمعان، كيفاس[٢]. حيث إن حياتهم قد تغيرت وارتقوا فوق ما كانوا عليه. ونحن أيضًا كذلك حيث إنكم قضيتم عمركم وفقًا لما يشاء الله، فإن الضرورة تقضي بتغيير اسم هذا الارتقاء حسب إرادة إلهنا.

ولذلك يا أحبائي في الرب، الذين أحبكم من كل قلبي وأروم الخير لكم وكأنه لي، حيث إنكم تعتبرون أبنائي في الله فإنني أسمع أن الغواية تثقل كاهلكم، وأخاف أن يحل بكم مكروه منها ذلك أنني سمعت أنكم تريدون

---

[١] حرفيًا: لن يطلق عليكِ اسم سارة Σάρα بل سارًا Σάῤῥα.

[٢] كلمة κηφᾶς هي المقابل الآرامي كِفا للكلمة اليونانية Πέτρος التي تعني صخرة.

أن تغادروا موضعكم، ولقد أحزنني هذا، ولو أنني أنفقت في هذا الحزن وقتًا طويلاً لما قدر لي التماسك والصمود، وذلك لأنني أعرف جيدًا أنكم إذا انتقلتم من موضعكم فلن ترتقوا على وجه الإجمال. لأن هذه ليست مشيئة الله، ولو أنكم افترقتم عن بعضكم، فلن تتحدوا ولن يقود الله خطاكم. وإنني لأخشى أن نهوى في لجة هذه الشرور، إذ لو اتبع كل واحدٍ منا أهواءه الخاصة، فإن الله لن يرسل قوته التي ترافق الناس في كافة طرقهم. لأن الإنسان إذا أقدم على تصرف من وحي نفسه فإن الله لن يمد له يد المعونة، وسيجد أن قلبه قد امتلأ بالمرارة والوهن في كل أمر يُقْدِم على فعله[٣]. لأن الخداع الذي يصيب المؤمنين والسخرية التي توجَّه إليهم ناتجان عن ذريعة زائفة في ارتقائهم، لأن حواء لم يتم خداعها على يد شخص آخر سوى بذريعة اكتساب الخير ومحبة الارتقاء. وذلك لسماعها صوتًا يقول: تكونان مثل الآلهة، وحيث إنها لم تميز صوت المتكلم، ولم تطع وصية الله. فسقطت في اللعنة ولم تفلح في الحصول على الخير، ويقول سليمان في سفر الأمثال: «إنه توجد طرق تبدو للناس صالحة غير أنها في نهايتها توصل إلى أعماق الجحيم». وهو يقول هذا عن الذين لا يفهمون مشيئة الله بل يتبعون أهواءهم، لأن أولئك الذين لا يعرفون مشيئة الله يستمدون في البداية حرارة من الشيطان أشبه بالسرور غير أنها في جوهرها ليست سرورًا. ثم إنه من بعد ذلك يعطيهم جفاءً وكراهية ويجعلهم عبرة لمن يعتبر، أما من يتبع مشيئة الله فإنه يتعرَّض في البداية لجفاءٍ واضطراب جسيم، غير أنه يجد بعد ذلك راحة وبهجة. لذلك لا تقدموا على فعل أي أمر حتى التقي بكم.

وهناك رغبات ثلاث ترافق الإنسان دائمًا، وكثير من الرهبان يجهلونها إلا الذين بلغوا منهم الكمال فقط، هؤلاء هم الذين يقول عنهم الرسول: «أما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير و الشر» (عب٥: ١٤). فما هي إذن هذه الرغبات الثلاث؟ إنها تلك التي يلقي بها إلينا العدو، وتلك التي تنبع من القلب، وتلك التي تُزرع من قبل

[٣] (س): كثيرة لأنه إذا سرنا وراء أهوائنا فلن يرسل لنا الله قوته مرة أخرى، هذه القوة التي تسهل وتثبت طرق الناس، لأنه إذا عمل أحد شيئاً وهو يعتقد أنه من الله، ولكنه مختلط بإرادته الذاتية، فإن الله لن يساعده في هذا العمل وتجد قلب مثل ذلك الإنسان قاسيًا ومريضاً في كل ما تمتد إليه يده ليعمله.

الله في الإنسان، غير إن الله يقبل من كل هذه الرغبات تلك التي تصدر عنه وحده فقط.

فافحصوا أنفسكم واحكموا أية رغبة من هذه الرغبات الثلاث قد أجبرتكم على مغادرة موضعكم، **ولا تغادروه إلى أن يسمح لكم الله بذلك**، وحتى أقابلكم وِفقًا لما يقال أيضًا في الإنجيل: امكثوا في أورشليم حتى تنالوا قوة تنزل عليكم من أعلى، ذلك أنني أعرف مشيئة الله في هذا الأمر أكثر منكم وأن من الصعب معرفة كنه مشيئة الله في كل ساعة. لأنه إذا لم يتخل الإنسان عن كافة أهوائه، ويطيع آباءه الروحيين، فلن يقدر أن يعرف مشيئة الله. وحتى عندما يعرفها يحتاج إلى قوة من الله لكي يستطيع أن يعمل وفقًا لها.

ذلك أن معرفة مشيئة الله أمرٌ جدٌّ عظيمٌ، ولكن العمل بها أعظم. فهذه هي القوة التي حظي بها يعقوب عندما أطاع والديه لأنهما لما طلبا منه أن يذهب إلى لابان في بلاد ما بين النهرين امتثل لأمرهما وهو راض، مع أنه لم يكن يريد أن يفارق والديه. غير أنه بعد أن أطاع حصل على البركة. وأنا أيضًا أبوكم لو لم أكن قد أطعت من قبل آبائي الروحيين لما أعلن الله لي عن مشيئته، **لأنه مكتوب إن بركة الأب تثبت بيت الأبناء، وقد احتملت نُسكًا شديدًا في الصحراء والجبال وأنا أطلب من الله في الليل والنهار حتى أعلن لي إرادته**، وأنتم الآن أيضًا. ولذلك أطيعوا الآن أيضًا أباكم في هذا الأمر لكي تنالوا هذه المشيئة وأنتم في راحة ومنفعة.

وقد سمعت أنكم تقولون إن أبانا يجهل تعبنا وشقاءنا. وإننا نعلم أن يعقوب رحل عن عيسو ولكنه لم يقدم على مثل هذا التصرف من وحي ذاته بل قام به بتكليف من والديه اللذين بعثا به. فتذكروا يعقوب وانتظروا حتى يبعث بكم أبوكم كي يباركم في سفركم، وحينئذٍ فإن الله سوف يمتدح ما تقومون بفعله.

كونوا معافين في الرب، آمين.

الرسالة السادسة

كتبها أبونا في القديسين الأنبا آمون
عظة عن نشدان رضي الناس والمجد الباطل

إلى إخوتي في الرب المكرمين جدًّا... سلامًا وتحية. أكتب إليكم كمحبين لله جدًّا وتنشدون الرب في الحقيقة من كل قلبكم، لأن الله سوف يستجيب لصلوات أمثال هؤلاء ويباركهم في كل شيء وسوف يعطيهم كل ما تنشده نفوسهم كلما سألوه. وأما الذين يقصدونه - لا من كل قلوبهم بل بتردد وشك - ويفعلون أعمالهم لكي يُمجدوا من الناس، فهؤلاء لا تستجاب مطالبهم من قبل الله فيما يسألونه منه، ولكنه بالأحري يغضب من أعمالهم لأنه مكتوب: إن الله يُشتت ويفرق عظام من يطلبون رضا البشر[٤].

فانظروا كيف أن الله يغضب من أعمالهم ولا يعطيهم الطلبات التي يطلبونها منه، بل أنه بالأحري يحبط مسعاهم، لأنهم لا يعملون أعمالهم بإيمان ولكنهم يعملونها طلبًا لإرضاء الناس. ولأجل ذلك فإن القوة الإلهية لا تسكن فيهم، بل ينتابهم المرض والوهن في كل أعمالهم التي يوضعون بها لأنهم لا يعرفون قوة النعمة ولا خفتها ولا فرحها، بل ثقلت نفوسهم في كل أعمالهم. وحيث إن معظم الرهبان هم من مثل هذا النوع فإنهم لا يتقبلون قوة النعمة التي تزكي النفس وتتيح لها الفرح وتهب لها السعادة يومًا بعد يوم وتلهب أنفسهم بالله حيث إن الأعمال التي يعملونها يبتغون بها إرضاء الناس، ولأجل هذا فإن النعمة لا تنزل عليهم وتفد إلى منازلهم. لأن الإنسان الذي يعمل أعماله لأجل إرضاء البشر يكون ممقوتًا ومحرومًا من قوة الله.

[4] ὁ θεὸς διεσκόρπισεν ὀστᾶ ἀνθρωπαρέσκων (Psalm 52:6)

لذلك يا أحبائي، يا من نالت ثمرة أعمالهم التقدير من الله، ناضلوا في كل أعمالكم ضد روح المجد الباطل لكي تنتصروا عليه في كل أمر، ولكي يغدو ثمركم بأسره مقبولاً ويبقى حيًّا من قبل الخالق، ولكي تنالوا قوة النعمة التي هي أعظم من كل الأشياء.

ذلك أنني أثق فيكم يا أخوتي، أثق أنكم تفعلون ذلك بكل ما لديكم من قوة وتحاربون ضد روح الطموح الزائف وأنكم تبذلون قصارى جهدكم ضده دائمًا. وبسبب ذلك فإن ثمركم سيكون له الاستمرار والحياة، لأن هذا الروح الشرير يدهم الإنسان ويغشاه في كل عمل صالح يقوم به، وهذا الروح الشرير يبغي بذلك أن يهدر ثمرة عمل الإنسان، وبسبب هذا الشر لكي لا يسمح للناس أن يصنعوا الخير لأجل إرضاء الله[٥]، إن هذا الروح الشرير يحارب أولئك الذين يريدون أن يكونوا مؤمنين. وعندما ينال بعض الأشخاص الثناء من البشر باعتبارهم مؤمنين أو لأنهم يصبرون على المعاناة أو لأنهم رحماء رقيقو القلوب، فإن ذلك الروح الشرير يشرع في التو في مصارعة إرادتهم، وينتصر على بعضهم ويبعثر ثمرهم. حيث إنه يستعد ليجعلهم يقومون بأعمال النسك نشدانًا لرضا الآخرين، وبهذه الطريقة يفسد ثمرهم. ومن الناس من يعتقد أنهم يحظون بثمر ومع ذلك فهم لا ينالون من الله شيئًا، ولأجل ذلك فإنه لم يمدهم بقوة بل تركهم وهم فارغين، حيث فشل كل منهم في العثور على ثمرة طيبة له، وبذلك يحرمهم الروح الشرير من مثل هذه النعمة وحلاوتها الفائقة[٦].

أما أنتم يا أحبائي، فجاهدوا دائمًا ضد روح المجد الباطل لكي تنتصروا عليه في كل شيء. وبذلك تصحبكم القوة الإلهية في كل حين. وأنا أيضًا سوف أصلى إلى الله لأجلكم ليعطيكم هذا الفرح دائمًا وليس وقتا قليلاً، أما إذا رأيتم أن الحرارة الإلهية قد فارقتكم وابتعدت عنكم فاطلبوا مرة أخرى وهى

---

[٥] لأني أثق فيكم يا أحبائي أنكم تقاتلون دائماً ضد روح المجد الباطل ولهذا السبب فإن جسدكم حي. لأن هذا الروح الشرير يقترب من الإنسان عندما يراه مستعدّاً لعمل الخير، وهو يريد أن يعوقه ويفسد ثماره، ولا يترك الإنسان مادام يستطيع أن يفعل الخير.

[٦] الجزء التالي من هذه الرسالة مترجم عن النص السرياني فقط، ولا يوجد في النص اليوناني.

سوف تأتي إليكم، لأن هذا اللهيب مثل النار التي تغير قوة البرودة لمن يملك هذه القوة، فإذا رأيتم قلبكم مثقلاً في وقت ما فاحضروا أنفسكم أمامكم وافحصوها إلى أن تلتهب وتشتعل بالله، لأن داود أيضًا عندما رأى نفسه ذات مرة متثاقلة صرخ قائلاً: «انسكبت علىَّ نفسي، تذكرت الأيام الأولى وتأملت في كل أعمالك، بسطت نحوك يدي، نفسي عطشانة إليك [يا الله] مثل الأرض الظمآنة». هذا ما فعله داود عندما رأى نفسه قد تثاقلت فجعلها تلتهب [بالله] وتأخذ العزاء الإلهي نهارًا وليلاً. فافعلوا هكذا أنتم أيضا يا أحبائي وسوف تنمون ويكشف لكم الله أسرارًا عظيمة ويحفظكم في صحة الروح والنفس والجسد إلى أن يوصلكم إلى الملكوت مع آبائكم الذين كملوا حسنًا إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة السابعة

أحبائي في الرب، إني أدعوكم في روح البراءة والوداعة الذي هو مُحبُ للسلام، وينشر عطرًا زكيًا في نفوس الصديقين لأن ذلك الروح لا يقترب من أية نفس ما لم يتطهر أصحابها كليةً من خطاياهم القديمة، لأنه روحٌ قدوسٌ لا يحل في نفسٍ مدنسةٍ. ولذلك فإن ربنا لم يهب هذا الروح لرسله إلا بعد أن طَّهروا أنفسهم، حيث قال لهم: «إذا مضيت عنكم فسوف أُرسل لكم المعزي روح الحق، وهو سوف يخبركم بكل شيء». لأن هذا الروح منذ هابيل وأخنوخ وحتى يومنا هذا يمنح ذاته لنفوس الصديقين الذين طَّهروا أنفسهم تمامًا. كما أن الروح الذي يحل على النفوس الأخرى ليس هو هذا الروح، بل هو روح التوبة والندم، لأن روح التوبة والندم يحل على النفوس الأخرى، حيث إنه يدعوها كافةً ويطهرها من كل دنس يشوبها. وعندما يطهرها تمامًا فإنه يزودها بروح القداسة.

ولا يكف عن سكب العطر والعذوبة عليها، مثلما يقول لاوي: «مَنْ ذا الذي يعرف لذة الروح إلا هؤلاء الذين أودع فيهم الروح ؟»، ولكن الذين استحقوا روح التوبة والندم أو روح الحق ليسوا كثيرين، لأنه نادرًا ما يسكن في بعض النفوس جيلاً من بعد جيلٍ. وهو مثل اللؤلوة الثمينة لا يوجد إلا في نفوس الأبرار الكاملين، كذلك عندما اعتُبر لاوي بحق مستحقًا للروح صلى لله صلوات كثيرة قائلاً: «أسبحك، يا الله، لأنك أنعمت عليَّ بالروح الذي أعطيته لعبادِكَ»، وكل الأبرار الذين أُرْسِلَ إليهم الروح شكروا الله كثيرًا لأن هذه هي اللؤلؤة التي يروي الإنجيل قصتها.

إنه الكنز الذي كان قد أُخفي في حقل، وعندما وجده إنسان اشتراه بعدما باع كل ما يملك، وفرح به فرحًا كثيرًا جدًّا. والروح عندما يسكن في مثل هذه النفوس يكشف لها أسرارًا عظيمة، فيتشابه لديها الليل والنهار، فانظر ها أنا ذا قد أعلمتكم بفاعلية هذا الروح.

وأريد أن تعلموا أنه منذ اليوم الذي رحلت فيه عنكم، فإن الله ساعدني في كل شيء حتى رجعت إلى موضعي، وعندما وصلت لمكان توحدي وفقني الله كثيرًا، وساعدني في الخفاء وفي العلانية وتمنيت لو كنتم قريبين مني لأجل التجليات التي كُشفت لي وكل يوم يتغير عن اليوم الذي يسبقه.

فأنتم تعلمون أن التجربة لا تحل على الإنسان إلا إذا حظي بالروح، لأنه عندما ينال الروح، يُسلَّم للشيطان ليجربه. ولكن مَنْ الذي يُسْلِمهُ للشيطان؟ إنه روح الله الذي يسلمه للشيطان. لأن الشيطان لا يستطيع أن يغوي مؤمنًا ما لم يُسْلِمهُ الله له .

وحتى ربنا عندما تم تعميده أخذه الروح إلى الصحراء لكي تحل به الغواية من قبل الشيطان، غير أن الشيطان لم يقدر عليه، لأن سلطان الروح - بعد الغواية - يزود القديسين بسلطان عظيم وقدرة أكبر. وإن لنا في كل الأحوال أن نمجد الله ونحمده، سواء في الكرامة أو في المهانة لأنه هو الذي ارتقى بنا من ظلمة الهواء تلك وجعلنا نتبوأ مقامنا السامي الذي كان لنا من قبل[٧].

فعندما تجسد سيدنا كان مثلنا في كل شيء ليعلمنا القداسة. وحين تعمد نزل عليه الروح في شكل حمامة، وفى ذلك الوقت قاده الروح للبرية وسلمه للشيطان ليجربه، ولم يستطع الشيطان أن يغلبه، لأن قوة الروح تزداد بعد التجارب وتقوِّى المجربين وتمنحهم مجدًا جديدًا كما حدث لي. وسيدنا عندما نزل من السماء وجد هواء كثيفًا وكئيبًا، وأيضًا عندما نزل إلى الجحيم وجد هواء أثقل من الأول فقال: «الآن نفسي قد اضطربت». وهذا مثلما حدث لي أنا أيضًا حيث إن التجربة قد ضايقتني في كل طرقي وجعلتني أضطرب ولكن أشكر الله الذي أجاهد لأجله من عمق قلبي منذ طفولتي، وأخضع له في كل شيء في هوان أو كرامة، فهو الذي دفعني من هذا الهواء المظلم وأقامني إلى العلو الأول وهذه هى تجربتي الأخيرة.

[٧] الجزء التالي من هذه الرسالة مترجم عن النص السرياني فقط، ولا يوجد في النص اليوناني.

ويوسف الصديق في تجربته الأخيرة في السجن تضايق أكثر من كل تجاربه السابقة، ولكن بعد السجن حيث موت الجحيم قد حظي بكرامة عظيمة لأنه صار ملكًا، ومن بعد هذا الوقت لم تعد التجربة تؤلمه، وها إني قد أعلمتكم بتجربتي وكيف حالي الآن في هذه الأيام.

بعد أن كتبت الرسالة تذكرت الكلام المكتوب في سفر حزقيال عن مثال الكاملين، فقد رأى مخلوقًا على نهر خابور ذا أربعة أوجه وأربع أرجل وأربعة أجنحة، وله وجه كاروب ووجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر. أما وجه الكاروب فهو يرمز لروح الله الذي يسكن في النفس فيعدها للتسبيح بصوت عذب ولذيذ، وعندما يريد الروح أن يقوم ويبحث عن إنسان فإنه يأخذ وجه إنسان. وماذا يكون الثور؟ عندما تجاهد النفس المؤمنة في الحرب الروحية فإن الروح الذي يساعدها يأخذ شكل ثور قوي يستطيع أن ينطح الشيطان، وماذا عن النسر ؟ ... يستطيع النسر أن يحلق في الأفق أعلى من أى طائر آخر مثل النفس التي تعلو عندما يرفعها الروح ويسكنها في الأعالي قريبة من الله.

أخبرتكم قليلاً عن هذا المخلوق، وبصلواتكم سوف آتي أليكم وتصعدون لبيت إيل. وهنالك نقدم ذبائحنا ونصعد تقدماتنا التي نطقت بها شفاهنا، وعندئذ نفسر هذا المخلوق على قدر استطاعتنا. وبيت إيل يُفسر بيت الله، لأن الله يحيط بالمكان الذي دُعي اسمه عليه، وحزقيال عندما رأى هذا المخلوق سأل عن سلام كل من له شركة في تعب وجهاد آبائه في التجربة، كما قال يوحنا أيضًا في كل مكان آخر إن الله يتمجد بعرق النفس، وكذلك بمشاركة النفس لسيدنا في زرع بذور العرق والتعب؛ تشترك أيضًا في جنى الثمار. ولذلك كُتب: «إن كنا نتألم معه؛ نتمجد ونحيا أيضًا معه». وأشياء أخرى كثيرة كُتبت في هذا الموضوع. وسيدنا أيضًا قال لتلاميذه: «أنتم الذين صبرتم معي في تجاربي، سوف أعد لكم مكانًا في الملكوت كما أعد لي أبى، لكي تجلسوا على مائدتي» وأشياء أخرى قيلت عن هذا.

وهكذا ترون أن الذين يشتركون في الآلام، يشتركون أيضًا في الراحة. ومن يشترك في الهوان يشترك أيضًا في الكرامة. وقد كتب في أقوال الآباء إن

الابن الصالح يرث بركة وبكورية الآباء، وهنا نحن قد زرعنا بذور الله، والأبناء الصالحين سوف يرثون بركتنا وبكوريتنا. وعندما وصلت لمكاني تذكرت الثمار التي سوف ينتجها هذا الزرع لأجل الله وقد قيل لي: «أنت معلم صالح قد اعتنى بهم باجتهاد، ولذلك عندما أراد الله أن يأخذك من هذا المسكن وتترك زرعك الصالح، ونحن عارفون أنك كنت أبًا عطوفًا ومربيًا محبًّا ولذلك لن أستدعيك لأجل أبنائك، وسوف يتركك الله بهذا المسكن».

كونوا معافين في روح التواضع والسلام الذي يتحد بنفوس الصديقين.

الرسالة الثامنة

من بعد أن كتبت الرسالة، تذكرت كلمة شجعتني أن أكتب لكم أيضًا عن تجربة قامة نفس الإنسان التي تنزل من طبقة الكمال بالروح إلى عمق الجحيم، وهى التي يصرخ النبي من أجلها ويقول: «نج نفسي من الجحيم السفلى»، لأن كل من ينال روح الله تحل عليه التجارب وتعطيه بصيرة ومجدًا جديدًا، ولذلك عندما وصل النبي إلى السماء الأولى تعجب من النور ولكن عندما جاء إلى السماء الثالثة ذهل وقال: «لقد حسبت أن نور السماء الأولى ظلامًا مقارنة بهذا النور» وهكذا حتى وصل إلى درجة الكمال النهائية، ونفوس الصديقين تتقدم وتنمو حتى تصل لدرجة الكمال، ومن يصل إلى هناك يستعد لكل التجارب ويوجد الآن أناس على الأرض قد وصلوا لهذه القامات.

كتبت إليكم هذه الكلمات يا أحبائي لكي تصيروا أقوياء وتعلموا أن التجارب التي تأتي على المؤمنين لا تكون للخسارة ولكن للمنفعة وبدون حلولها على النفس لا تستطيع أن تصعد إلى مكان الأحياء وموضع خالقها.

الروح يهب حيث يشاء، ولكنه يهب في النفوس المنيرة المتألقة الإلهية التي تتوق إليه بكل شوق لكي تشفى. وعندما تخضع [هذه الأنفس] لروح السجود فإن [الروح] يمنحها الخوف من الله والحرارة الروحية في البداية. وعندما يقترب منها يجعلها تكره العالم بأسره وتكره كل شهوة مضره فيه سواء أكانت ذهبًا أم فضة أم أي قرابة جسدية سواء أكان أبا أم أمًّا أو زوجة أو بنين، كما يجعل عذوبة عمل الله داخل الإنسان أحلى من العسل والشهد سواء أكانت صعوبة الصوم أم النسك أم السكينة والخدمة الروحية أم الرحمة، ويجعل كل أعمال الله تحلو في عين الإنسان.

وعندما يُعلِّم الروح كل هذه الأمور للإنسان يخضعه لامتحان واختبار، وبناءً على ذلك تصبح كل الأشياء التي كانت حلوه لديه ثقيلة وصعبة ولذلك فإن كثيرين ممن يفتقرون إلى الخبرة الروحية، عندما يمتحنون فإنهم يسقطون تحت

وطأة هذا العبء الثقيل ويصبحون شهوانيين جسدانيين. وهؤلاء هم الذين يقول عنهم بولس: «أبعد ما ابتدأتم بالروح، تكملون الآن بالجسد؟».

ترى هل كان احتمالكم لكل هذه الأمور على كثرتها باطلاً؟ أما هذا الباطل فهو أن من يحتمل آلامًا لأجل الله، ثم ينغمس بعدها في التعاسة والشقاء حتى الآذان ولا يتوب أو يقلع عنها، فهو لا يخسر فقط ربحه [الذي كان سيكسبه من تحمل] هذا الآلام ولكنه أيضًا سوف يكون مستحقًا لعذاب أشد وطأة لأنه استهان بالقوة العلوية ولم يسع لاختيارها.

لأن الإنسان إذا ما قاوم الشيطان في التجربة الأولى وانتصر عليه، فإن الله عندئذ يمنحه حرارة روحية تمكث فيه تكون هادئه وخالية من التوتر والقلق، لأن الحرارة الأولى يحيط بها الاضطراب والتشتت وتكون غيرة ثابتة أو مستقرة، أما الحرارة الثانية فهي أعظم، إذ تغرس في الإنسان وضوح الرؤية وتمنحه قوة الاحتمال فيكون بعيدًا عن الاضطراب وصادقًا وخالٍ من التشتت والشك. مثل سفينة تستقر في مرفأ آمن هادئ وترسو على قواعد ثابتة متوازنة هكذا الحرارة الثانية تبعث على الراحة في كل الأحوال.

والآن يا أبنائي الأحباء اقتنوا لأنفسكم هذه الحرارة الروحية الثانية لتحوزوا الراحة في كل أمر لأن هذا الدفء الذي يرسله الله ينزع من الإنسان كل معاناة ويبعد عنه كل عبء ثقيل ويجعل اللاهوت يسكن في الإنسان فيصير هيكلاً لله. كما هو مكتوب: «سوف أسكن فيهم وأمكث في أعماقهم».

ولذلك فإنه إذا أردتم أن تعود إليكم الحرارة الروحية التي ابتعدت عنكم، فهذه هي وسيلة رجوعها: فليقطع الإنسان عهدًا بينه وبين الله ويقول وهو في حضرته: "سامحني على ما اقترفته من تقصير وسوف لا أعصاك بعد الآن". واعتبارًا من ذلك الوقت فإن [الله] سوف يحميه من كل تقصير لا عن طريق منحه راحة لجسده أو لروحه بل عن طريق جعل حواسه بأسرها متجهة نحو الله ليلاً ونهارًا كما سيجعله في كل ساعة يصرخ أمام الله نادمًا، ويلوم نفسه قائلاً: "كيف تماديت يا نفسي في تقصيرك حتى اليوم، وكيف صرت جافية جرداء كل هذه الأيام؟". ولكي يتذكر العذاب والملكوت الأبدي فإنه يوبخ

نفسه كل ساعة قائلاً: "كيف حباك الله بكل هذه المنن والأفعال وأنت تتهاون وتقصر؟ لقد جعل الله كل خلائقه خاضعة لسلطانك ولكنك لم تعتبر". وعندما يقول لنفسه هذه الأشياء فإنه يشرع في تبكيتها ليلاً ونهارًا وكل ساعة فتصل إليه في الحال الحرارة الإلهية التي هي أعظم من الحرارة الأولى.

فعندما رأى الطوباوي داود أن عبء الأحزان قد ثقل عليه قال: "لقد فكرت في الأيام القديمة وتذكرت وأمعنت النظر في السنين الأزلية. ثم عدت لأتذكر من جديد الأيام الغابرة وأمعن النظر فيما خلقت أياديك ثم مددت نحوك يا إلهي يداي وكانت روحي إليك تماثل أرضًا أضناها الظمأ". وعندما ترجع إليك هذه الحرارة الروحية مرة أخرى فلتمنح نفسك فرصة اللهج وإمعان النظر في عجائب الله. وحينئذ فإنك سوف تنال الخلاص الذي تنشده بنعمة الآب والابن والروح القدس، إلى أبد الآبدين. آمين.

تّمْ.